شيء من التاريخ

بضعة أسطر فى كتاب مدرسى

بقلم: د. عبد العظيم محمود الديب
جامعة قطر

فى سبتمبر عام ١٩٨٢ تناقلت وكالات الانباء والصحف العالمية اخبار ازمة خطيرة بين الصين واليابان وبلغ من خطورة الازمة ان الصين بعد ان كانت العلاقات قد بلغت القمة بينها وبين اليابان هددت بقطع كل هذه العلاقات وايقاف كل العلاقات الاقتصادية وبدأت تداعيات الازمة العاصفة!!.

فلم كانت هذه الازمة؟.

فكان السبب وراء هذه الازمة هو خلاف حول «بضعة اسطر فى كتاب مدرسى»!! نعم بضعة اسطر فى كتاب من كتب التاريخ تدرس بالمدارس اليابانية وصل إلى علم الصين ان اليابان بصدد بتغيير هذه الاسطر قبل بدء العام الدراسى.

على الحكاية:

كانت اليابان بعدما ضربتها امريكا بالقنابل الذرية كما هو معروف فى «هيروشيما» و «نجازاكى» ــ قد استسلمت للقائد الامريكى (ماك آرثر) ووقعت وثيقة التسليم يوم ٢ سبتمبر عام ١٩٤٥ منهية بذلك الحرب الكونية الثانية وعندها املى القائد الامريكى المظفر (ماك آرثر) شروطه التى كان منها تغيير المناهج الدراسية ولم يضيع دقيقة واحدة فارسل على الفور فى طلب سبعة وعشرين من اساتذة التربية الامريكيين الذين اشرفوا على دراسة اوضاع التربية ومؤسساتها فى اليابان ثم اقاموا مشروعا لتفكيك الروح الوطنية والقضاء على النزعة العسكرية لدى افراد المجتمع اليابانى ابتداء من المدارس الابتدائية إلى النهاية.

فرض على اليابان تغيير كل شيء من تقديس الميكادو وتعظيم الاسلاف إلى الدستور إلى كتب التاريخ التى تدرس بالمدارس بحيث يسجل فيها ان قادة الجيش اليابانى الذين خاضوا الحرب كانوا دكتاتوريين واستعماريين ومستبدين ارتكبوا فظائع وجرائم ضد الشعوب التى حاربوها واحتلوا بلادها بغير حق فرض على اليابان ان تصم تاريخها وتصف قادتها بهذه الصفات حتى تنشيء اجيالا تتجرع هذه المرارة فتخرج إلى الحياة عاجزة عن القيادة والجندية معا.

○ ارادت اليابان ان تغير هذه السطور وتمسح عن قادتها ورجالها هذه الصفات وتصور لتلاميذها هذه الحرب على انها حروب وطنية قادها ابطال يابانيون مخلصون.

ومن هنا ثارت الصين واحتجت وانذرت بالويل والثبور وعظائم الامور. تلك هى حكاية الازمة واصلها.

○ ولكن الذي يعنينا منها هو ادراك الامم ووعيها بقيمة التاريخ واثره فى صناعة الاجيال وصياغة الرجال وتوجهات الامم وهذا الادراك واضح تماما من الجانبين (اليابان والصين) فاليابان تريد ان تصحح او تغير والصين لا تتهاون ولاتتساهل ويقف العملاقان وجها لوجه.

○ ويلفت النظر هنا رهافة الحس وشدة الانتباه من كل من الدولتين وبخاصة من الصين فكيف شعرت حكومة الصين بان اليابان وهى تستعد للعام الدراسى غيرت هذه السطور؟؟ فالكتب لم تكن قد خرجت من المطابع بعد!! كيف عرفت الصين ذلك هل جعلت من مهام مخابراتها التى ترقب لها الاسلحة والجيوش والمفاعلات الذرية والصناعات الاستراتيجية والخطط والاستعدادت الحربية هل جعلت من مهمتها مراقبة الكتب المدرسية؟ اخال ذلك قد حصل والمخابرات فى ذلك لم تخرج عن وظيفتها ومهمتها فهى مازالت مخابرات عسكرية ترقب قوة العدو وقدرته القتالية فهذه الكتب المدرسية هى التى تصنع الرجال وتصوغ الانسان الذى هو المحرك الاول والفاعل الحقيقى فى كل معركة فبدونه لن تكون هناك جدوى لاية اسلحة مهما بلغ من قوتها وكفاءتها.

واليابان ايضا لم تنس ولم تنم فهى على ادراك واع بان هناك سطورا يجب ان تغير قد فرضت عليها فرضا وارادت ان تستغل العلاقات الطيبة التى بدأت تربطها بالعدو القديم «الصينى» عسى ان يتغاضى او يكون قد نسى ولكن كان ما كان.

بغير قنابل ذرية:

اذا كانت اليابان قد خضعت لذلك وهى مضروبة بالقنابل الذرية فما بال غيرها يستقدم جنود (ماك آرثر) بنفسه ويسلم قيادة مركز تطوير مناهج التربية لتسعة وعشرين خبيرا امريكيا بارادته؟؟ ان اليابان لم تنم ابدا على هذا الضيم فمنذ معاهدة سنة ١٩٥٢م التى انهت احتلال الحلفاء لها استعادت سيادتها وبدأت فى تخفيف القيود التربوية التى فرضت عليها حتى تخلصت منها بل انها فى بعض الاحيان رفضت الالتزام ببعض تلك القيود التى لم تكن تملك حق معارضتها خلال سنوات الاحتلال السبع بمعنى انها عمليا لم تلتزم بتنفيذ المخطط الذى اجبرت على التوقيع عليه، هذه هى اليابان فاين نحن؟؟.

ومن عجب ان بعض ذوى الاقلام التى تزعم انها تحمى حمى الابداع وحرية الرأى ولها سوابق فى الدفاع عن مهرجان المسرح التجريبى الذى تكلف ٢ مليون جنيه ليرقصوا فيه فوق الكعبة!! وعن علاء حامد فى سخريته من الرسل والاديان وعن الديوان الذى قال صاحبه: «ان الله قد ظلم الحرف جيم» «واستغفر الله من حكاية هذا الكفر» كما دافعوا فى سفسطة ومغالطة عن ذلك (الدكتور) البازغ الذى اتهم عثمان رضى الله عنه بالخيانة وتزييف النص القرآنى واتهم الامام الشافعى بالتلفيق والعصبية القرشية ونادى بالتحرر من النص القرآنى هذه الاقلام هى هى بعينها التى تدافع عن هذا التطوير وعن وصاية الخبراء الامريكان على منابع الفكر وتسميم بذوره وجذوره فعن اى حرية يدافعون؟؟.

***

قال الضفدع قولا حارت فيه الحكماء
فمى فيه ماء وهل ينطق من فى فيه ماء؟؟.